

الدارس في تاريخ المدارس

منازعة فارضوه مهما أمكن ولو أتى على جميع مالي وكان نور الدين الدين يقف عند دار العدل في الأسبوع أربع مرات ويحضر عنده العلماء والفقهاء ويأمر بإزالة الحجاب والبوابين وأنفق على عمارة جامع الموصل ستين ألف دينار وفوض أمر عمارته إلى الشيخ عمر المنلا الزاهد ويقال أنفق عليه ثلاثمائة ألف دينار فتم في ثلاث سنين وبنى جامع حماة على جانب العصي ووقع في أسره ملك الفرنج فأشار الأمراء ببقائه في أسره خوفا من شره فبذل هو في نفسه مالا فبعث إليه نور الدين سرا يقول له أحضر المال فأحضر ثلاثمائة ألف دينار فأطلقه فعند وصوله إلى مأمنه مات فطلب الأمراء سهمهم من المال فقال كما تستحقون منه شيئا لأنكم نهيتهم عن الفداء وقد جمع الله تعالى لي الحسنين الفداء وموت اللعين وخلص المسلمين منه فبنى بذلك المال المارستان والمدرسة بدمشق ودار الحديث وما كان أحد من الأمراء يتجاسر أن يجلس عنده من هيبته فإذا دخل عليه فقير أو علم أو رث خرقة قام ومشى إليه وأجله إلى جانبه ويعطيهم الأموال فإن قيل له يقول هؤلاء لهم حق في بيت المال فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا وقال العماد الكاتب في البرق الشامي أكثر نور الدين في السنة التي توفي فيها من الصدقات والأوقاف وعمارة المساجد وأسقط كل ما فيه حرام فما أبقى سوى الجزية والخراج وما يحصل من الغلات على فويم المنهاج وأمرني بكتب مناشير لجميع أهل البلاد فكتبت أكثر من ألف منشور وحسبنا ما تصدق به في تلك الشهور فكان ثلاثين ألف دينار وكان له برسم نفقة الخاص في كل شهر من الجزية ما يبلغ ألفي قرطاس يصرفها في كسوته وما حوله وأجرة خياطة وجامكية طباخه ويستفضل منها ما يتصدق في آخر الشهر وقيل إن استمر كل ستين قرطاسا بدينار وذكر العماد الكاتب جملة من فضائله ومبلغ ما أطلق من الرسل والضرائب في كل سنة خمس مائة ألف وستة وثمانون ألفا وأربع مائة وستون دينارا وقد ذكر الذهبي تفصيل ذلك بالنسبة إلى كل بلد من بلاده ونقل ابن واصل وغيره أنه كان من أقوى الناس بدنا وقلبا وأنه لم ير على ظهر فرس أشد منه كأنما خلق عليه ولا